

«دونالد الأول» غير قادر على تخيل العالم من بعده

ترامب وعقيدة أنا ومن بعدي الطوفان: الإعلام يروج للنسخة الأميركية من لويس الخامس عشر



فرض الرئيس الأميركي دونالد ترامب، على الولايات المتحدة، وعلى العالم، مفهومه الشخصي المغاير على مستوى السياسة الداخلية كما الخارجية، والذي ساعدته وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي على الترويج له بشكل لافت ويتخذ الآن منحى تصعيديا في وقت يسعى فيه ترامب لتحقيق نجاحات مع اقتراب استحقاق 2020.

توم أنغلهارت
كاتب أميركي ومؤسس
موقع توم ديانش

واشنطن - تختلف الروايات التي تحدد هوية الشخص الذي قال "أنا ومن بعدي الطوفان"، يسندها البعض إلى الملك الفرنسي لويس الخامس عشر. ورغم أن هذه النقطة تبقى غير واضحة، إلا أن التاريخ يحدد اندلاع الثورة الفرنسية بعد وقت قصير من وفاة هذا الملك. يشهد العالم اليوم نسخة أميركية من لويس الخامس عشر، وتتجسد في دونالد الأول الذي يبدو غير قادر على تخيل عالم من بعده. ويحيط عدد من وسائل الإعلام "المزيفة" و"الفاصلة" بالحاكم الأميركي بطريقة لم يسبق لها مثيل تاريخيا. لا يمكن لنا أن نقول إن الأمة لم تغرق بعد. عبارات أخرى، جاء الطوفان بلونه البرتقالي وجسمه الضخم ووجهه العدواني الذي يذكر بكل أب كان حيا في الخمسينات، بما في ذلك والذي والنائب الجمهوري جوزيف مكارتشي (عضو في مجلس الشيوخ الأميركي في الفترة الممتدة بين سنتي 1947 و1957).

بالطبع، يجب أن تكون في سن معين لتتذكر ذلك السياسي الذي يشبه دونالد ترامب في بعض تصرفاته. فبمنظور ترامب ميمز (على الرغم من غياب تويتز أثناء توليه لمنصبه)، اتهم وزير دفاع الرئيس هاري ترومان (في المنصب من 1945 إلى 1953) جورج مارشال، ووزير خارجيته دين أنتيسون، بأنهما من العملاء الروس. وقال مكارتشي في تلك الفترة "كيف يمكننا تحديده وضعنا الحالي إذا ما لم نصدق تعاون بعض الرجال في هذه الحكومة لنفعلنا نحو كارثة". ويقدم وجود مكارتشي تذكيرا بأن الشخصيات ذات الطابع الترابي لم تكن غائبة في تاريخنا.

تغريدات وإهانات

بطبيعة الحال، تختلف نسختنا الحالية من لويس الخامس عشر عن كل تلك التي سبقها. فهي تأتي مع مجموعة من التغريدات والإهانات، ومدح الذات، والأخبار والمزاعم، ومع عدد من الأعمال الغريبة التي تمتد على كل المستويات التي يمكن تصورهما. ويفضل وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي، أصبح دونالد ترامب تجسيدا للطوفان. وأصبح الشعب الأميركي كما لو كان يعيش في البندقية التي غمرتها المياه، حتى وإن لم يدرك ذلك بعد.

وتتزايد الأمور غريبة مع تعامل وسائل الإعلام مع الرئيس وكأنها تغطي كارثة طبيعية. فهي تنقل لنا قصة ترامبية واحدة على الأقل كل يوم. لكي تكون واضحين، ارتبط وجود دونالد ترامب بانمافذ الإعلامية منذ سنة 2016. وتتوسع هذه التغطية باستمرار بطريقة لم يسبق لها مثيل في التاريخ الممتد من عهد بختريشاه (بنوخذ نصر) الذي حكم بابل إلى حاضرا اليوم.

أصبح ترامب في وجهنا أكثر من أي ملك وإمبراطور ومستبد ورئيس وفنان. بالمقارنة مع حضوره الإعلامي، تتجاهل الميديا ما لا يرتبط بالرئيس من يوم إلى آخر، من أسبوع إلى أسبوع، من شهر إلى شهر، ولألف من سنة إلى سنة. بعبارة أخرى، يبدو وجود ترامب أبديا. ويصعب على البعض تذكر هيكال نشرات الأخبار قبل سنة 2016.

ليكن أحد الأيام الأخيرة نمونجا ما أريد أن أعبّر عنه كلحظة نمونجية في حياتي خلال عصر ترامب. في طريقني إلى غرفة تغيير الملابس في إحدى الصالات الرياضية المحلية، توقفت لتناول شطيرة في قاعة توجد بها شاشة تلفزيون عملاقة مع عدد من الطاولات والكراسي.

ترامب في البيت الأبيض.. انعكاس لعالم أميركي تجاوز ثقافة الانتصار

الولايات المتحدة الحديث. وخلص إلى "موت ثقافة النصر في أميركا" في فترة ما بين سنتي 1945 و1975. وحاولت أن أدل قارئني إلى "مقبرتها" لبراهما الجميع، وهي الحرب الكارثية في فيتنام.

يجب كتابة هذا التاريخ
الفريد الذي أثبت فيه
دونالد ترامب قدرته
على جذب كل كاميرات
العالم وعلى الاستيلاء
على أهم جزء من اهتمام
وسائل الإعلام

في حقيقة الأمر، وعلى الرغم من أحلام النخبة السياسية في واشنطن في الفترة التي تلت الحرب الباردة مباشرة ومن آمال كبار المسؤولين في إدارة بوش في السنوات التي تلت هجمات 11 سبتمبر، أصبح "النصر" هدفا شبه مستحيل في أهم أمة في العالم (كما أوضحت حروبنا التي لا تنتهي خلال هذا القرن). وأصبحنا الآن في عالم أميركي تجاوز ثقافة الانتصار. ويعدّ تواجد دونالد ترامب في البيت الأبيض دليل على ذلك. أريد أن أطرح سؤالاً يجيب عنه شخص مستعد لكتابة كتاب جديد ولم يبلغ من العمر 75 عاما، وهو: ما هو الأمر الذي تعتبر أنفسنا في نهايته الآن؟ يجب أن تكون هناك إجابة واضحة، ليس كذلك ما هو الشيء الذي تمثله "ظاهرة ترامب" حقاً؟ والأهم من ذلك، ما الذي يكمن وراء كل الاهتمام الذي توجهه الميديا نحوه؟ بالنسبة لترامب، يعدّ كل ما يجري "مطاردة ساحرات". وقد وصف تحقيق مولر بـ"أكبر عملية مطاردة ساحرات في تاريخنا السياسي". كما وظّف نفس التعبير عند حديثه عن مساعي الديمقراطية الذين بدأوا في اتباع إجراءات عزله. وكتب في حسابه على تويتز فور إعلان رئيسة مجلس النواب عن بدء النظر في المسألة "إنه يوم مهم في الأمم المتحدة مع الكثير من العمل والنجاح، وتعهد الديمقراطيون بتعبيره بمزيد من أخبار مطاردة الساحرات".

بسبب بعض القرارات الأساسية التي اتخذتها وسائل الإعلام لتحديد الأمور المهمة التي يجب التركيز عليها لحشد المتابعين، أصبحت نشرات الأخبار وكأنها لقطات قريبة لكل تحركات الرئيس. وأصبح دونالد ترامب بدلاً من أن يكون شاهة، كامل اليوم. وبسبب تركيز وسائل الإعلام عليه، أصبح الرئيس الأميركي الطرف الذي يعزلنا.

ونظامه الإمبراطوري الغريب في دائرة الضوء. بتصرفات وسائل الإعلام، تحول ترامب إلى ما يشبه قوة طبيعية، كإعصار من الفئة الخامسة (أو ربما السادسة)، وترجع هذه الظاهرة إلى طرق تغليفه. يجب كتابة هذا التاريخ الفريد الذي أثبت فيه "الملك دونالد الأول"، الذي ما زال "رئيساً" رسمياً للولايات المتحدة (رغم أنه يتصرف كما لو كان يشغل منصبا أكبر من ذلك بكثير)، قدرته على جذب كل كاميرات العالم وعلى الاستيلاء على أهم جزء من اهتمام وسائل الإعلام. نجح الرئيس في إبقاء "الضوء الأحمر" على الكاميرات نابضا منذ سنة 2016، وحقق نظير ذلك على وسائل التواصل الاجتماعي. إنه إنجاز سيذكر على مر العصور، ويبدو كقاهرة ناجحة غامر الصحافيون عند خوضها في عالم إعلامي وجد نفسه في صراع لجمع دولارات الإعلانات وتحقيق وجوده من خلال توجيه الأعين نحوه. ومكن اهتمام العالم المتواصل من تبرير هذه القرارات التي حددت ما يعتبر خبرا في القرن الحادي والعشرين.

الآن، أصبح ترامب جوهر كل موضوع من الرياضة إلى الأفلام. قيل لنا إن الشتاء قادم. واكتشفنا أن الشتاء يتجلى في الرئيس ترامب. في سجل الرؤساء الأميركيين، أتذكر المرة الأولى التي شهدت فيها هذا النوع من التغطية. وكان العالم حينها مختلفا تماما عن هذا الذي نعرفه اليوم. كان يوم الجمعة 22 نوفمبر 1963. في ذلك اليوم، أطلق أحدهم النار على الرئيس جون كينيدي. كنت أبلغ من العمر 19 سنة. وفي تلك الأيام التي لم يكن لدينا فيها شاشة في كل غرفة (أو كل يد). كنت في قبو مبنى السكن التابع للجامعة مع العديد من الطلاب الآخرين. جلسنا بالقرب من طاولة البلياردو لنشاهد شاشة التلفزيون الوحيدة الذي تمكننا من الوصول إليها حينها.

خلال جنازة كينيدي يوم الاثنين، كانت 81 بالمئة من أجهزة التلفزيون في المنازل داخل الولايات المتحدة مفتوحة لتابعة الحدث الوطني. ووفقا لتقرير شركة "نيلسن"، كان 93 بالمئة من الأميركيين يشاهدون ما يجري. وقضى أكثر من نصفهم مدة تتجاوز 13 ساعة في المتابعة. لكن التغطية الفريدة من نوعها انتهت وطويت الصفحة.

يعيش دونالد ترامب في عالم مختلف تماما عن ذلك الذي نتذكره في عهد كينيدي وأوجيه. أتلقى الكتاب إلى عدد من الفترات التاريخية الحاسمة في تاريخ

مسبوقة. وتبدو وكأن الرئيس جاء هدية من الله إلى الصحافة في سنة 2016. مع أنه من بعض الزوايا، تبدو بعض التحليلات والتقارير معقولة، وخاصة تلك المتعلقة بإجراءات عزل ترامب.

الضوء الأحمر

يخفي جسم ترامب (بفضل مجموعة من القرارات الإعلامية التي قررت ماهية الأخبار التي تلت الانتباه بقية العالم، وكل شيء لا يتعلق به، ويقي أي شخص ذي صلة به أو على استعداد لمهاجمته

ببقي التلفزيون مفتوحا لمن يريد أن يشاهد ما يجري، وضبط على مجموعة من القنوات الإخبارية مثل "سي.أن.أن." و"أم.أس.أن.بي.سي." و"فوكس نيوز". وإذا لم يكن وجهه الرئيس الغاضب على الشاشة، فستجد المتقدمين والمحللين الذين يجاذبون أطراف الحديث لمناقشته والتطرق إلى أي شيء يتعلق به. في ذلك اليوم بالذات، عندما جلست لأكل شطيرتي، كان التلفزيون يعرض برنامجا على "سي.أن.أن." وكان يغطي الزيارة غير المجدولة التي نظمها الرئيس إلى مركز والتر ريد الطبي العسكري لإجراء "فحوصات وتحاليل سريعة".

أدعى البيت الأبيض أن ترامب كان يخضع إلى جزء من فحوصاته البدنية السنوية المبكرة لأن التاريخ صادف تنعته بعطلة نهاية أسبوع دون مسؤوليات في واشنطن. لكن الزيارة كانت "غير مقرر" ولم يتوقعها الطاقم الطبي. وكانت التغطية كما لو لم يرتبط اسم دونالد ترامب بكل ما هو غير متوقع من قبل. في الحقيقة، لم يكن لدى أي شخص ظهر على الشاشة الكثير ليقدّمه حول ذلك الموضوع. إذ اقتصر الخبر الوحيد على الزيارة نفسها. ولم تتوفر معلومات غير التي نشرها البيت الأبيض، فتسابق الإعلاميون لإجراء مقابلات مع خبراء طبيين. ومع انتهائي من الطعام وتوجهي إلى غرفة تغيير الملابس، تركت المحللين يتناقشون حول الموضوع الفارغ.

وعندما مسرت بنفس القاعة في طريقني إلى الخارج بعد تمارين السباحة، رأيت مجموعة أخرى من المحللين الذين وصلوا لمناقشة زيارة الرئيس إلى والتر ريد.

بعد عدة أيام، ومع شروعي في كتابة هذه المقالة، واصلت القضية احتلال أعمدة الجرائد وشاشات التلفزيون. وكما هو الحال مع الكثير من المواضيع الأخرى التي تحوم حول هذا الرئيس، تواصل "سبيل التكهنات" حول هذه "الزيارة الغامضة وغير المعلنة للمستشفى" (حسب تعبير صحيفة نيويورك تايمز) لأيام.

يمكن تطبيق هذه الحالة على كل القصص التي تتعلق بدونالد ترامب. ويعد الأمر مزعجا لتكرر هذه السيناريوهات مع كل قصة مرتبطة بالرئيس، كما لو كان ترامب موضوع وسائل الإعلام الوحيد في الماضي والحاضر والمستقبل. وتعذ الطبيعة التاريخية لكل هذه الكتابات والمقابلات والتغريدات والمناقشات على مدار الساعة غير

ببقي التلفزيون مفتوحا لمن يريد أن يشاهد ما يجري، وضبط على مجموعة من القنوات الإخبارية مثل "سي.أن.أن." و"أم.أس.أن.بي.سي." و"فوكس نيوز". وإذا لم يكن وجهه الرئيس الغاضب على الشاشة، فستجد المتقدمين والمحللين الذين يجاذبون أطراف الحديث لمناقشته والتطرق إلى أي شيء يتعلق به. في ذلك اليوم بالذات، عندما جلست لأكل شطيرتي، كان التلفزيون يعرض برنامجا على "سي.أن.أن." وكان يغطي الزيارة غير المجدولة التي نظمها الرئيس إلى مركز والتر ريد الطبي العسكري لإجراء "فحوصات وتحاليل سريعة".

أدعى البيت الأبيض أن ترامب كان يخضع إلى جزء من فحوصاته البدنية السنوية المبكرة لأن التاريخ صادف تنعته بعطلة نهاية أسبوع دون مسؤوليات في واشنطن. لكن الزيارة كانت "غير مقرر" ولم يتوقعها الطاقم الطبي. وكانت التغطية كما لو لم يرتبط اسم دونالد ترامب بكل ما هو غير متوقع من قبل. في الحقيقة، لم يكن لدى أي شخص ظهر على الشاشة الكثير ليقدّمه حول ذلك الموضوع. إذ اقتصر الخبر الوحيد على الزيارة نفسها. ولم تتوفر معلومات غير التي نشرها البيت الأبيض، فتسابق الإعلاميون لإجراء مقابلات مع خبراء طبيين. ومع انتهائي من الطعام وتوجهي إلى غرفة تغيير الملابس، تركت المحللين يتناقشون حول الموضوع الفارغ.

وعندما مسرت بنفس القاعة في طريقني إلى الخارج بعد تمارين السباحة، رأيت مجموعة أخرى من المحللين الذين وصلوا لمناقشة زيارة الرئيس إلى والتر ريد.

بعد عدة أيام، ومع شروعي في كتابة هذه المقالة، واصلت القضية احتلال أعمدة الجرائد وشاشات التلفزيون. وكما هو الحال مع الكثير من المواضيع الأخرى التي تحوم حول هذا الرئيس، تواصل "سبيل التكهنات" حول هذه "الزيارة الغامضة وغير المعلنة للمستشفى" (حسب تعبير صحيفة نيويورك تايمز) لأيام.

يمكن تطبيق هذه الحالة على كل القصص التي تتعلق بدونالد ترامب. ويعد الأمر مزعجا لتكرر هذه السيناريوهات مع كل قصة مرتبطة بالرئيس، كما لو كان ترامب موضوع وسائل الإعلام الوحيد في الماضي والحاضر والمستقبل. وتعذ الطبيعة التاريخية لكل هذه الكتابات والمقابلات والتغريدات والمناقشات على مدار الساعة غير

